أثر الدخيل في التفسير على التراث العلمي والواقع العملي للأمة الإسلامية

إعداد

د. محمد السيد محمد يوسف

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالديدامون – شرقية

المقدمـــة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة حق لا يشوبها ارتياب ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، المبعوث إلى خير أمة بأشرف كتاب .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله ، وارض اللهم عن أصحابه وأتباعه ، ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين .

أمـا بعــد ..

فإن القرآنَ الكريم جَنَةُ الله في أرضه ، وهديته إلى خلقه ، هو رحمته البالغة ، ونعمته السابغة ، الارتباط به حياة ، واللجوء إليه نجاة ، والقرب منه فوز ورضوان ، والبعد عنه ضلال وخسران .

ولم يشهد التاريخ البشري كتابا حظي بمثل ما حظي به القرآن الكريم من الحب والاهتمام والدراسة والبحث والتأليف ، والذي يراجع المكتبات ، ويطالع المجلدات التي سطرت في العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، في القديم والحديث ، يجد ما ينشرح به صدره ، وتقر به عينه ، ولله تعالى الحمد والمنة.

وستظل الدراسات التي تسبح في أنهاره ، وتغوص في أعماقه تخرج لنا منه كل خير ، وتظهر لنا فيه أكثر مما نعرف ، وأحسن مما نكشف .

ومهما كثرت فيه الدراسات وألفت في علومه المجلدات ، فلن تستطيع أن تبلغ قراره ، أو تصل إلى شطئانه ، أو تحيط بأسراره ، وسيظل عطاؤه متجددا ، وإعجازه قائما ، وخيره باقيا ما بقيت الحياة .

ولقد تعرض هذا الكتاب الكريم منذ أن نزل إلى دنيا الناس لهجمات شرسة من أعداء الإسلام ، وكانت تهدف إلى طمس نوره ، وصرف الناس عن هدايته ، وقد ذهبت كل هذه المحاولات أدراج الرياح ، وجعل الله كيد الكافرين في تضليل .

ولما يئس أعداء الدين من إطفاء نور الله بأفواههم ، اتجهوا في معركتهم مع الأمة الإسلامية اتجاها آخر ، وهو التشكيك والدس في تراث الأمة وعقيدتها ، ومحاولة النيل من ثوابتها وأصولها ، حتى تتخلخل القواعد المتينة ، ويهتز البناء الصلب الذي يقف عليه المسلمون .

فدسوا آلاف الروايات المكذوبة على النبي ﷺ ، وعلى أصحابه الكرام. وانتشرت هذه الروايات في تراث الأمة انتشارا عجيبا ، وأخذت كتب التفسير نصيبها من هذا البلاء .

فقد حُشيت بعض كتب التفسير بكم كبير من هذه الروايات الواهية ، والأحاديث الساقطة ، سواء كانت منسوبة إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين - .

ويا ليت أن الأمر اقتصر على ما افتراه أعداء الإسلام من روايات مريضة ، يكيدون بها دين الله ، وكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، لكن المشكلة الكبرى أن بعض أفاضل العلماء والمفسرين قد انطلى عليهم هذا الغثاء ؛

فراحوا ينقلونه في كتبهم ، ويفسرون به كلام ربهم ، مع التأكيد على أن قصدهم لم يكن سيئا ، وإنما هو الولع بالأخبار الغريبة والروايات المثيرة . وقديما قالوا : لكل جواد كبوة ، ولكل عالم زلة ، وسبحان من له الكمال .

والعجيب أن تلك الروايات الدخيلة تغلغلت في نفوس بعض الناس، وتسلطت على عقولهم ، حتى صارت عندهم عقيدة ، على أساسها يفهمون القرآن الكريم ، وبتفاصيلها يفسرون ما غمض من آياته .

وهكذا أضرت الروايات الدخيلة إضرارا بالغا بعقيدة الأمة الإسلامية، حيث كوّنت عند بعض المسلمين رؤية غير صحيحة ، وحجبت رؤية الحق عن بعض الباحثين ، وجعلت من الحق باطلا ، ومن الباطل حقا .

ولقد شرح الله تعالى صدري وَوَجَّهَ همتي للكتابة في موضوع :

أثر الدخيل في التفسير على التراث العلمي والواقع العملي للأمة الإسلامية

والدخيل في اللغة : هو الوافدُ الذي تسلل من الخارج ، وليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه ، قال صاحب القاموس المحيط في تعريف كلمة الدخيل : الدخيل كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه . (١) وفي لسان العرب : فلان دخيل في بني فلان ، إذا كان من غيرهم . (٢)

وأما تعريف الدخيل في التفسير اصطلاحا : فهو (ما جاء في تفسير القرآن الكريم مخالفاً لظاهر النص القرآني ، أو منافراً لسياق الكلام ، أو مصادماً للدليل ، مما لا أصل له شرعاً ، ولا قبول له عقلاً ورأياً .)

(١) مجد الدين الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ٣/ ٣٧٤ ، فصل الدال ، باب اللام .
(٢) محمد بن منظور ، لسان العرب ، مادة : دخ ل .

وكان الدافع - بعد إرادة الله تعالى - لاختيار هذا الموضوع أمور ، أهمها ما يلي:

الأول : كثرة الروايات الدخيلة المبثوثة في بعض كتب التفسير ، وتأثيرها السلبي الواضح ، نظريا وسلوكيا ، على كثير من العامة ، وبعض الخاصة .

الثاني : أن مجال (الدخيل في التفسير) مجال شيّق ، ورحب ، ويحتاج إلى جهود مخلصة ودائبة من المتخصصين في مجال التفسير والدراسات القرآنية ؛ لتنقية كتب التفسير ، وتطهيرها من كل ما دخل فيها من الأقوال والروايات التي لا نصيب لها من الصحة ؛ حتى يستطيع الناظر في كتب التفسير أن يفهم كلام الله سبحانه فهما صحيحا ، وبعيدا عن أكاذيب الرواة وخيالات القصاصين .

الثالث : المساهمة في طرح دراسات وأفكار تساعد على التنبيه على خطر الدخيل، وترشد القراء والدارسين ، وتعصمهم من الوقوع في الزلل ، وتزيح عن القرآن الكريم ما علق بتفسيره من الأباطيل والخرافات ، التي كادت تشوش على التفسير الصحيح لكتاب الله تعالى ، وتخفى الكثير من جلاله ، وجماله ، وهدايته التي هي أقوم الهدايات.

فاستعنت بالله العظيم ، وأقدمت على البحث في هذا الموضوع ، راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد .

الدراسات السابقة :

الدخيل في التفسير مجال رحب ، سبق إليه علماؤنا الأولون ، وتابعهم ونسج على منوالهم أساتذتنا المعاصرون . فمن السابقين : الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص . وجمال الدين عبد الرحمن الجوزي ، في كتابه : الموضوعات . ومحمد بن طاهر بن علي الفتني ، في كتابه : تذكرة الموضوعات ... وغيرهم .

ومن المعاصرين : الدكتور محمد حسين الذهبي ، في كتابه : الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودَفْعُها . والدكتور طاهر محمود يعقوب في كتابه : أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية . والدكتور إبراهيم خليفة ، في كتابه : الدخيل في التفسير ... وغيرهم .

وهذا البحث خطوة على هذا الطريق ، ولبنة في هذا البناء . وقد ركّز على الآثار السيئة للدخيل على تراثنا العلمي ، وواقعنا العملي .

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة ، وخمسة مباحث ، وخاتمة ، اشتملت **المقدمة** على : الاستفتاح ، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وتعريف الدخيل ، وخطة البحث .

وأما المباحث فهي كالتالي :

المبحث الأول : ترويج وتقوية الأحاديث الواهية والمكذوبة على النبي ﷺ وأصحابه الكرام .

المبحث الثاني : تشكيك الناس في مصداقية كتب التفسير .

المبحث الثالث : إخراج القرآن الكريم عن هدفه الأصيل .

المبحث الرابع : تضييع الوقت والجهد ، وإشغال الفكر بما لا يعود بالنفع.

المبحث الخامس : الدخيل سبب في انتشار البدع والخرافات بين أفراد الأمة.

وأما الخاتمة : فتشتمل على :

خلاصة البحث ونتائجه - فهرس المراجع - فهرس الموضوعات .

وقد اعتمدت في هذا البحث على كتب التفسير المتنوعة التي تحقق الهدف ، وتصل إلى المطلوب من أقرب طريق . كما رجعت إلى كتب السنة المطهرة ، وعلوم القرآن الكريم ، وغير ذلك من المراجع الأصيلة ، والأبحاث المعاصرة ، والكتابات الحديثة التي تمس هذا الموضوع وتخدمه . واتبعت في أداء ما قصدت إليه طريقة وسطى بين الإجمال والتفصيل .

وأسأل الله جل شأنه أن يوفقني فيما قصدت ، ويعافيني مما أخطأت ، وأن يحقق بهذا العمل النفع المرجو والأثر المقبول ، وأن يهبني سبحانه شرف الرضا ومنة القبول . وأبرأ إلي الله من حولي وقوتي ، وألجأ إلى حوله

وقوته . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

ترويج وتقوية الأحاديث الواهية والمكذوبة على النبي ﷺ وأصحابه

حُشيت بعض كتب التفسير بكم كبير من الأحاديث الضعيفة والروايات الموضوعة ؛ سواء كانت منسوبة إلى النبي ﷺ ، أو إلى الصحابة الكرام ، ويكفي أن نعلم أن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ نُسب إليه مئات الروايات في التفسير ، لم يصح عنه منها إلا ما يقارب المائة حديث . (١)

ورواية وترويج الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ جريمة عظمى ، وكبيرة من الكبائر ؛ فقد روى الشيخان عن المغيرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : (**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** .) (٢)

قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ : لا أعلم شيئا من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه إلا الكذب على رسول الله ﷺ ، فإن الشيخ أبا محمد

---

(١) نُقل عن الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث ، محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ١/ ١١٥ .

(٢) صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجنائز ، باب ما يكره من النياحة على الميت ٣ /١٩١ رقم : ١٢٩١، ومسلم (بشرح النووي) المقدمة ، باب تغليظ الكذب على رسول ﷺ ١٠١/١ رقم : ٤ . واللفظ له .

الجويني من أصحابنا - وهو والد إمام الحرمين - قال : إن مَن تعمد الكذب على النبي ﷺ يَكفر كفرا يخرجه عن الملة .

وتبعه على ذلك طائفة ، منهم الإمام ناصر الدين ابن المنير من أئمة المالكية . وهذا يدل على أنه أكبر الكبائر ، لأنه لا شيء من الكبائر يقتضي الكفر عند أحد من أهل السنة .. والله أعلم . ([1])

والمتتبع لكتب التفسير يجد أمثلة كثيرة لنماذج من الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ وأصحابه الكرام . نسوق منها المثال التالي :

أورد جمع من أهل التفسير في قول الله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَـٰٓئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (التوبة:٧٥ - ٧٧) .

أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري . وأوردوا رواية عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قالَ : جَاءَ ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ الأنْصَارِيُّ إلَى رَسُولِ اللهِّ ﷺ فقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِّ ادْعُ اللهَّ أنْ يَرْزُقَنِي مَالاً. فقَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : " وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لاَ تُطِيقُهُ " ، ثُمَّ أتَاهُ بَعْدَ ذلِكَ فقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِّ ادْعُ اللهَّ أنْ يَرْزُقَنِي

([1]) جلال الدين السيوطي ، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص : ٦٤ .

مَالاً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَمَا لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ تَسِيرَ الْجِبَالُ مَعِي ذَهَبًا وَفِضَّةً لَسَارَتْ " .

ثُمَّ أَتَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مَالاً فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ رَزَقَنِي اللَّهُ مَالاً لأُعْطِيَنَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالاً".

قَالَ: فَاتَّخَذَ غَنَمًا فَنَمَتْ كَمَا يَنْمُو الدُّودُ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ فَتَنَحَّى عَنْهَا ، فَنَزَلَ وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَتِهَا وَهِيَ تَنْمُو كَالدُّودِ ، فَكَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، وَيُصَلِّي فِي غَنَمِهِ سَائِرَ الصَّلَوَاتِ ، ثُمَّ كَثُرَتْ وَنَمَتْ حَتَّى تَبَاعَدَ بِهَا عَنِ الْمَدِينَةِ ، فَصَارَ لاَ يَشْهَدُ إِلاَّ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ كَثُرَتْ فَنَمَتْ فَتَبَاعَدَ أَيْضًا حَتَّى كَانَ لاَ يَشْهَدُ جُمُعَةً وَلاَ جَمَاعَةً . فَكَانَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَرَجَ يَتَلَقَّى النَّاسَ يَسْأَلُهُمْ عَنِ الأَخْبَارِ ، فَذَكَرَهُ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : مَا فَعَلَ ثَعْلَبَةُ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّخَذَ ثَعْلَبَةُ غَنَمًا مَا يَسَعُهَا وَادٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ " .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الصَّدَقَاتِ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَرَجُلاً مِنْ جُهَيْنَةَ وَكَتَبَ لَهُمَا أَسْنَانَ الصَّدَقَةِ ، كَيْفَ يَأْخُذَانِ ؟ وَقَالَ لَهُمَا : " مُرَّا بِثَعْلَبَةَ بن حاطب ، و[بفلان]، رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فَخُذَا صَدَقَاتِهِمَا ، فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا ثَعْلَبَةَ فَسَأَلاَهُ الصَّدَقَةَ وَأَقْرَآهُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ إِلاَّ جِزْيَةٌ مَا هَذِهِ إِلاَّ أُخْتُ الْجِزْيَةِ ، انْطَلِقَا حَتَّى تَفْرُغَا ثُمَّ عُودَا إِلَيَّ ، فَانْطَلَقَا وَسَمِعَ بِهِمَا السُّلَمِيُّ فَنَظَرَ إِلَى خِيَارِ أَسْنَانِ إِبِلِهِ فَعَزَلَهَا لِلصَّدَقَةِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُمَا بِهَا فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: مَا هَذِهِ عَلَيْكَ. قَالَ: خُذَاهُ فَإِنَّ نَفْسِي بِذَلِكَ طَيِّبَةٌ، فَمَرَّا عَلَى النَّاسِ فَأَخَذَا الصَّدَقَاتِ، ثُمَّ رَجَعَا إِلَى ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ: أَرُونِي كِتَابَكُمَا فَقَرَأَهُ،

ثُمَّ قالَ: مَا هَذِهِ إلاَّ أُخْتُ الْجِزْيَةِ، ادْهَبَا حَتَّى أرَى رَأيي. قالَ فَأقْبَلاَ فَلَمَّا رَآهُمَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ قَبْلَ أنْ يُكَلِّمَاهُ قالَ: يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، ثُمَّ دَعَا لِلسُّلَمِيِّ بِخَيْرٍ، فَأخْبَرَاهُ بِالَّذِي صَنَعَ ثَعْلَبَةُ، فَأنْزَلَ اللهُّ تَعَالَى فِيهِ الآيات السابقة التي في سورة التوبة ، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أقاربِ ثَعْلَبَةَ فَسَمِعَ ذَلِكَ فَخَرَجَ حَتَّى أتَاهُ فَقالَ: وَيَحُكَ يَا ثَعْلَبَةُ لِقَدْ أنْزَلَ اللهُّ فِيكَ كَذَا وَكَذَا ، فَخَرَجَ ثَعْلَبَةُ حَتَّى أتَى النَّبيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ أنْ يَقْبَلَ مِنْهُ الصَّدَقَةَ ، فَقالَ : إنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ مَنَعَنِي أنْ أقْبَلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ، فَجَعَلَ يَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأسِهِ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : هَذَا عَمَلُكَ وَقَدْ أمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي ، فَلَمَّا أبَى رَسُولُ اللهِّ ﷺ أنْ يَقْبضَ صَدَقَتَهُ ، رَجَعَ إلَى مَنْزِلِهِ . وَقْبضَ رَسُول اللهِّ ﷺ . ثُمَّ أتَى أبَا بَكْرٍ فَقالَ : اقْبَلْ صَدَقَتِي، فَقالَ أبُو بَكْرٍ : لِمَ يَقْبَلْهَا مِنْكَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ ثُمَّ أنَا أقْبَلُهَا ؟ فَقْبضَ أبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَقْبَلْهَا . فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ أتَاهُ فَقالَ : اقْبَلْ صَدَقَتِي ، فَقالَ: لَمْ يَقْبَلْهَا مِنْكَ رَسُولُ اللهِّ وَلاَ أبُو بَكْرٍ ، أنَا أقْبَلُهَا مِنْكَ ؟ فَلَمْ يَقْبَلْهَا فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ أتَاهُ فَلَمْ يَقْبَلْهَا مِنْهُ ، وَهَلَكَ ثَعْلَبَةُ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بن عَفّان . (١)

وهذه القصة مكذوبة ومردودة ، رغم اشتهارها عند بعض المفسرين، وهي لا تصح سنداً ولا متناً ، أما سنداً فهي من طريق معان بن رفاعة عن على بن يزيد ، وكلاهما لا يصح حديثهما .

---

(١) يراجع : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان فى تفسير القرآن ١٣٠/١٠، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٧٤ - ٣٧٥ ، جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور ٤/ ٢٤٧ ، عبد الرحمن بن أي حاتم ، تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٨٤٧ ، أبو محمد ، الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل ٤/ ٧٦ ، ناصر الدين ، أبو الخير عبد الله البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ص : -١٥٩ ، أبو إسحق الثعلبي . الكشف والبيان ص: ١٠٤٥ . علاء الدين الخازن ، لباب التأويل ٣/ ١٢٥ . أسعد حومد ، أيسر التفاسير ص: ١٣١٣ ، بتصرف يسير .

وأما مَثْنَاً فالنبي ﷺ قرر أن مانع الزكاة تؤخذ منه قسراً، وحارب أبو بكر الصديق مانعي الزكاة ، فكيف يرفض أخذها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم - ؟ (١)

وقد ضعّف هذه القصة كثير من أفاضل العلماء :

قال القرطبي في تفسيره : " ثعلبة بدريّ أنصاريّ وممن شهد الله ورسوله له بالإيمان ، فما رُوي عنه غير صحيح ." (٢)

وقال المناوي في فيض القدير : " قال البيهقي : في إسناد هذا الحديث نظر. وهو مشهور بين أهل التفسير " . (٣)

وقال ابن حزم : " هذه صفة أوردها الله تعالى ، يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه ، وليس فيها نص ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه ، وقد روينا أثراً لا يصح ، وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب ، وهذا باطل ، لأن ثعلبة بدري معروف . " (٤)

والراجح في تفسير الآية الكريمة ما ذكره الطبري بسنده قال: هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخلوا ، فأعقبهم بذلك نفاقاً إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة . " (٥)

---

(١) أحمد فريد ، الفوائد البديعية في فضائل الصحابة وذم الشيعة ص: ٦ .
(٢) محمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢١٠ .
(٣) جمال الدين ابن منظور ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤/ ٦٨٩ .
(٤) أبو محمد بن حزم ، المحلى ١١/ ٢٠٧ .
(٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/ ٣٧٥ .

وهكذا تبرأ ساحة الصحابي الأنصاري الجليل : ثعلبة بن حاطب ، المعروف إيمانه ، والمتيقن صحبته . ومن ثبت له ذلك فلا يمكن نفيه عنه إلا بإسناد صحيح صريح .

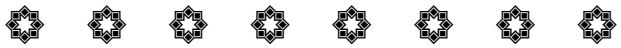

المبحث الثاني

تشكيك الناس

في مصداقية كتب التفسير

وهذا من أخطر آثار الدخيل ، حيث تسببت الروايات الدخيلة المبثوثة في بعض كتب التفسير في إلقاء ظلال الشك حول مصداقية هذه الكتب ، التي تَنقل وتُثبت في طياتها كلاما يتعارض مع بديهيات العقل السليم ، وحقائق الشرع الحنيف.

ونسوق من كتب المفسرين مثالا ندلل به على هذا الأمر.

قال تعالى في قصة داود عليه السلام : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ ص: ٢١ - ٢٥

وفي تفسير هذه القصة خاض بعض المفسرين في تفسير هذه الخصومة وحقيقتها وطبيعة المتخاصميْن خوضا لا يليق بمقام هذا النبي العظيم ، واعتمدوا فيما ذهبوا إليه على روايات باطلة ، وأقوال ملفقة لم تقم على أصل ، ولم يرد بها نص موثوق .

منها ما ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره عن وهب بن منبه اليماني، قال: لما اجتمعت بنو إسرائيل على داود ، أنزل الله عليه الزبور ، وعلمه صنعة الحديد ، فألانه له ، وأمر الجبال والطير أن يسبِّحن معه إذا سبح ، ولم يعط الله فيما يذكرون أحدا من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور فيما يذكرون ، تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها ، وإنها لمصيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطين المزامير إلا على أصناف صوته ، وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة ، فأقام في بني إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا ، وكان شديد الاجتهاد من الأنبياء ، كثير البكاء ، ثم عَرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له . وكان له محراب يتوحَّد فيه لتلاوة الزبور ، ولصلاته إذا صلى ، وكان أسفل منه جنينة لرجل من بني إسرائيل ، كان عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه .

ولما دخل داود محرابه ذلك اليوم قال : لا يدخلن عليّ محرابي اليوم أحد حتى الليل ، ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي ؛ ودخل محرابه ، ونشر زبوره يقرؤه ، وفي المحراب كوّة تطلعه على تلك الجنينة ، فبينا هو جالس يقرأ الزبور إذ أقبلت حمامة من ذهب ، حتى وقعت في الكوّة ، فرفع رأسه فرآها ، فأعجبته ، ثم ذكر ما كان قال (لا يشغله شيء عما دخل له) فنكَّس رأسه وأقبل على زَبوره .

فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوّة ، فوقعت بين يديه ، فتناولها بيده، فاستأخرت غير بعيد ، فاتبعها ، فنهضت إلى الكوّة ، فتناولها في الكوّة ، فتصوبت إلى الجنينة ، فأتبعها بصره أين تقع ، فإذا المرأة جالسة تغتسل بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحُسن والخَلْق ؛ فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه ، واختطفت قلبه ، ورجع إلى زَبوره ومجلسه ، وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها.

وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها ، ثم أمر صاحب جيشه ـ فيما يزعم أهل الكتاب ـ أن يُقدّم زوجها للمهالك ، حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ، ولداود تسع وتسعون امرأة ؛ فلما أصيب زوجها خطبها داود ، فنكحها .

فبعث الله إليه وهو في محرابه ملَكين يختصمان إليه ، مثلا يضربه له ولصاحبه ، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه ، فقال : ما أدخلكما عليّ ؟ قالا : لا تخف ،لم ندخل لبأس ولا لريبة ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فجئناك لتقضي بيننا ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ : أي احملنا على الحقّ، ولا تخالف بنا إلى غيره ؛ قال الملَك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي على ديني ﴿ لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ أي احملني عليها ، ثم عزّني في الخطاب ، أي قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني هو وأعزّ ، فحاز نعجتي إلى نعاجه ، وتركني لا شيء لي.

فغضب داود ، فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم ، فقال : لئن كان صدقني ما يقول ، لأضربن بين عينيك بالفأس ! ثم ارعوى داود ، فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة أوريا ، فوقع ساجدا تائبا منيبا باكيا ، فسجد

أربعين صباحا صائما ، لا يأكل فيها ولا يشرب ، حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه ، وحتى أندب السجود في لحم وجهه ، فتاب الله عليه وقبل منه .

ويزعمون أنه قال : أي رب ، هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة ، فكيف بدم القتيل المظلوم ؟ قيل له : يا داود - فيما زعم أهل الكتاب - أما إن ربك لم يظلمه بدمه ، ولكنه سيسأله إياك فيعطيه ، فيضعه عنك ؛ فلما فرج عن داود ما كان فيه ، رسم خطيئته في كفه اليمنى ببطن راحته ، فما رفع إلى فيه طعاما ولا شرابا قط إلا بكى إذا رآها ، وما قام خطيبا في الناس قط إلا نشر راحته ، فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته في يده . ([1])

نقد الرواية السابقة وبيان أنها من الدخيل :

بنظرة فاحصة إلى الرواية السابقة ندرك أنها لا تمت إلى الواقع والحقيقة بأي حال . كما أنها تضر إضرارا بليغا بتراثنا العظيم في كتب التفسير ، حيث تلقي بظلال الشك وعدم المصداقية حول هذه الكتب .

فقد صورت هذه الرواية نبي الله داوود – عليه السلام – في صورة متدنية خسيسة ، لا تليق بعباد الله الصالحين ، فضلا عن أنبيائه المصطفين المعصومين .

حيث تصوره الرواية الدخيلة على أنه رجل شهواني، ينظر إلى امرأة أحد قواده وهي تغتسل عريانة ، فيُعجب بها ، ويهيم في حبها ، ويرسم الخطط الماكرة ليتخلص من زوجها المجاهد ، حتى يخلو له الجو ويظفر بمحبوبته ! .

([1]) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان فى تفسير القرآن ٢٣ / ٩٦ ـ ٩٥ .

وإن المدقق في متن هذه الرواية يجد الخلل باديا بقوة في بنائها : فهل كانت المرأة التي رآها داوود عليه السلام تغتسل في العراء ؟ وهل يُعقل أن يسجد داوود عليه السلام أربعين صباحا ولا يأكل ولا يشرب ؟ ثم ينبت الزرع من دموعه على رأسه ! إن هذا والله لشيء عجاب ، والأعجب منه أن يسود به الأئمة الكرام صفحات تفاسيرهم .

قال أبو حيان : الذي يدل عليه ظاهر الآية : أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس ، دخلوا على داوود عليه السلام من غير المدخل ، وفي غير وقت جلوسه للحكم ، وأنه فزع منهم ظناً منه أنهم يغتالونه ، إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه ، فلما اتضح له أنهم جاءوا في حكومة ، وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصَّ الله تعالى فاستغفر من ذلك الظن ، وخرَّ ساجداً لله عز وجل . (١)

وهناك قول آخر : وهو أن استغفار داود عليه السلام إنما كان سببه أنه قضى لأحد الخصمين قبل أن يسمع حجة الآخر .

قال الإمام الرازي ما ملخصه : لم لا يجوز أن يقال إن تلك الزلة - التي جعلت داود يستغفر ربه - إنما حصلت لأنه قضى لأحد الخصمين ، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر ، فإنه لما قال له :﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا **... ﴾ فحكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم ، بغير بينة ، لكون هذا الخصم مخالفا للصواب ، فعند هذا اشتغل داود بالاستغفار والتوبة ، إلا أن هذا من باب ترك الأولى والأفضل . (٢)**

---

(١) أبو حيان محمد بن يوسف ، البحر المحيط ٧ / ٣٩٣ بتصرف يسير .

(٢) محمد بن عمر الرازي ، مفاتيح الغيب ١٣ / ١٩٤ .

وعلى هذا فالرواية السابقة - التي حشى بها بعض المفسرين كتبهم عارية عن الصحة ، وينكرها النقل والعقل ، ولا يليق بمؤمن أن يقبل شيئا منها ، لأنه لم يقم عليها دليل ، أو ما يشبه الدليل ، بل قام الدليل على عدم صحتها إطلاقا ، لأنها تتنافى مع عصمة الأنبياء ، الذين صانهم الله - تعالى - من ارتكاب ما يخدش الشرف والمروءة قبل النبوة وبعدها .

وحينما يُرَوَّج لمثل هذه الروايات الكاذبة التي تفتري أشد الافتراء على أنبياء الله، وتصمهم بهذه الوصمات الشنيعة التي يقشعر منها الجسد، وتشمئز منها النفس ، ويجدها القارئ في بعض كتب التفسير منسوبة إلى أئمة كرام وصحابة أعلام ، فكيف تكون نظرته بعد ذلك إلى هؤلاء الأنبياء؟ وكيف يكون مقامهم في قلبه واعتقاده ؟ وكيف يثق بعد ذلك في كتب التفسير التي بثت هذا الكلام بين صفحاتها . ؟

المبحث الثالث

إخراج القرآن الكريم عن هدفه الأصيل

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل لهداية الخلق وإرشادهم ، وإصلاح حالهم ومآلهم ، وكل ما جاء في القرآن الكريم من أحكام أو قصص أو وعد أو وعيد ...؛ أو خلافه إنما يصب في هذا الغرض ، ويبني على هذا الأساس.

وبالتالي يجب على المفسر لكتاب الله أن يلتفت إلى هذه القاعدة المهمة ، ولا ينشغل عن الغرض الأساس ـ الذي من أجله نزلت الآيات ، أو سيقت القصة ، أو جاء الوعد والوعيد ـ بتفصيلات ثانوية ليست داخلة في صلب الموضوع ، ولا تقوم على أساس صحيح .

فإن الخوض في هذه التفصيلات ـ خاصة إذا كانت دخيلة ـ يبعد القارئ والدارس عن الجو القرآني ، ويُخرج القرآن الكريم عن هدفه الأصيل ، ومقصده السامي الذي أنزل من أجله .

يقول الشيخ / محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ : " لقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار ، التي ليس لها سند صحيح ، وأغدقوا من شرها على الناس ، وعلى القرآن الكريم ، وكان جديرا بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سدا ، يقيهم البلبلة الفكرية ، فيما يتصل بالغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، ولم ير فائدة لعباده في أن يطلعهم على شيء منه .

وإذا كان للناس بطبيعتهم ولع بسماع الغرائب وقراءتها ؛ فما أشد أثرها في إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن الكريم ، من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال . "(١)

وتوضيحا وتأكيدا لما سبق نسوق من كتب المفسرين مثالين ندلل بهما على هذا الأمر .

المثال الأول : كلام المفسرين حول سفينة نبي الله نوح عليه السلام :

جاء في تفسير الثعلبي عن ابن عباس قال : اتخذ نوح (عليه السلام) السفينة في سنتين ، وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، وكانت من خشب الساج ، وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام ، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام ، وركب هو في البطن الأعلى . (٢)

ورَوى علي بن زيد بن صوحان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فيحدّثنا عنها ، فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفّه قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا كفن حام بن نوح ، قال : فضرب الكثيب بعصاه وقال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب ، قال له

(١) محمود شلتوت ، الفتاوى ، ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) أبو إسحق الثعلبي . الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ص : ١١٢٤ .

عيسى : هكذا هلكت ؟ قال : لا بل متُّ وأنا شاب ، ولكنني ظننت أنها الساعة ، فمن ثَمّ شبت .

قال : حدِّثنا عن سفينة نوح، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلمّا كثرت فضلات الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث ، فلمّا وقع الفأر بحوض السفينة وحبالها قرضها ، وذلك أن الفأر ولدت في السفينة فأوحى الله تعالى إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد، فضرب فخرج من منخره سنور وهرّة فأقبلا على الفأر .

فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت، ثم بعث الحمامة ، فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها ، فعلم أن البلاد قد غرقت قال : فطوّقها بالحمرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في قصر بأمان ، فمن ثم تألف البيوت . قال : فقالوا : يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلنا فيجلس معنا ويحدّثنا ؟ قال: كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ فقال له : عد بإذن الله، قال : فعاد تراباً . ([1])

المثال الثاني: كلام المفسرين حول النملة التي خاطبت نبي الله سليمان عليه السلام

جاء في تفسير القرطبي عن كعب قال : مر سليمان عليه السلام بوادي السدير من أودية الطائف ، فأتى على وادي النمل ، فقامت نملة تمشي وهي عرجاء

([1]) أبو إسحق الثعلبي . الكشف والبيان ص : ١١٢٥ .

؛ فنادت : (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادخلوا مساكنكم...) وقد سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال . وقيل : كان اسمها طاخية . وقال السهيلي : ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه السلام ، وقالوا: اسمها حرميا . ([1])

وجاء في تفسير الثعلبي عن نوف الحميري قال : كان نمل وادي سليمان مثل الذباب . وقال الشعبي : النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين . واختلفوا في اسم تلك النملة . فجاء عن الضحاك أن اسمها طاحية. وذهب مقاتل إلى أن اسمها حرمي .

ورأيت في بعض الكتب أنّ سليمان لمّا سمع قول النملة قال : ائتوني بها ، فأتوه بها فقال لها : لِمَ حَذّرت النمل ظلمي ؟ أما علمتِ أنّي نبي عدل؟ فلِمَ قلتِ : لا يحطمنّكم سليمان وجنوده ؟ فقالت النملة : أما سمعت قولي : وهم لا يشعرون ؟ مع ما أنّي لم أرد حطم النفوس ، وإنّما أردت حطم القلوب ، خشيت أن يتمنّين ما أعطيت ويشتغلن بالنظر عن التسبيح. فقال لها : عظيني ، فقالت النملة : هل علمت لِمَ سُمّي أبوك داودَ؟ قال : لا . قالت : لأنّه داوى جرحه فردّ . هل تدري لم سُمّيت سليمان ؟ قال: لا . قالت: لأنّك سليم ... ثم قالت : أتدري لِمَ سخّر الله لك الريح ؟ قال : لا . قالت : أخبَرك الله أنّ الدنيا كلّها ريح . فتبسّم سليمان ضاحكاً متعجّبا من قولها ، وقال: (رَبِّ أوزعني أن أشكر نعمتك ...) ([2])

والحقيقة أن المفسرين الذين أوردوا هذه التفصيلات الدخيلة قد انحرفوا عن الهدف الأساس الذين من أجله نزل القرآن الكريم ، وليس هناك في

([1]) محمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٦٩ .

([2]) أبو إسحق الثعلبي . الكشف والبيان ص : ١٦٧٠ .

الواقع حاجة حقيقية إلى تعيين مثل هذا الأمور ؛ ولو كان يترتب على بيانها فائدة لنص عليها القرآن الكريم ، وما أغفلتها السنة المطهرة .

وتعيين مثل هذه الأمور لا يسمن ولا يغني من جوع ، والعلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر ، كما أن تعيين المبهمات الواردة في القرآن الكريم كأسماء الأشخاص والبلدان والحيوان والطير ، وغير ذلك أمر مرجعه النقل المحض ، ولا مجال للرأي فيه ، كما قال الإمام السيوطي رحمه الله . ([1])

والقرآن الكريم لم يتبع في حديثه عن السابقين ، وإيراده لقصصهم وأخبارهم المنهج التفصيلي التحليلي ؛ فلم يتوسع في الحديث عن زمان أو مكان ، أو أبطال ، ولم يستطرد إلى تكميلات وتحليلات وتفصيلات في أحداثها ، وحركات أبطالها ، وخلفيات مشاهدها .

لم يفصل القرآن الكريم شيئا من هذا ، لأنه لم يستهدف من قصصه هذه التفصيلات والتحليلات ؛ إنما هدف إلى عرض الحقائق ، وتقرير القيم والتصورات ، واستخلاص العبر والدروس ، والتوجيه إلى الدلالات والانتفاع بما فيها من توجيهات . وهذا متحقق في المقدار الذي عرضه القرآن الكريم ، بالكيفية التي عرضه بها . ([2])

يقول الدكتور محمد أبو زهرة : " لا ينبغي أن نخوض في أمر لم يتطرق إليه القرآن الكريم ؛ فلا نريد أن نرجم بالغيب ، ولا أن نسير

([1]) جلال الدين السيوطي ، الإتقان ٩٥/٤ بتصرف يسير .

([2]) صلاح الخالدي،مفاتيح للعامل مع القرآن الكريم،ص ٩٤ وما بعدها بصرف يسير .

وراء الظنون . والقرآن الكريم ليس كتاب تاريخ ؛ ولكنه كتاب عظة واعتبار ."([1])

والواجب إزاء هذه الأمور أن نقف عند حدود النصوص القرآنية ولا نتعداها، فلا نخبط بلا دليل في افتراض تفصيلات ، لا تقوم على أصل ، ولم يرد بها نص موثوق . اللهم إذا كان هناك نص نبوي صحيح ، أما غير ذلك فهو في الحقيقة ضرب في التيه بدون نتيجة تذكر ، أو فائدة ترجى .

([1]) محمد أبو زهرة ، زهرة التفاسير ٩/ ٤٤٩١ بتصرف .

المبحث الرابع

تضييع الوقت والجهد،وإشغال الفكر بما لا يعود بالنفع

اعتمد بعض المفسرين في عدة مواضع من كتبهم على روايات احتوت بين ثناياها على أمرين خطيرين : الضعف المخل ، والطول الممل . وتسبب ذلك في كثير من الأحيان في تضييع الوقت ، وإهدار الجهد ، وتشويش العقلية الإسلامية ، وإشغالها بما لا يعود بالنفع .

حيث يجد القارئ نفسه داخلا في سراديب كثيرة من التفصيلات الثانوية التي لا يضر جهلها ، ولا ينفع علمها ، فضلا عن أنها ليست داخلة في صلب الموضوع ، ولا تقوم على أساس صحيح .

وتدليلا على هذا الأمر نسوق رواية أوردها الشيخ الطبري عند تفسيره لقول الله جل شأنه : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٤) ، **وهي رواية مطولة جدا نسوق بعضا منها فيما يلي :**

يقول - رحمه الله - : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال: ثني ابن إسحاق، قال : كان مما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل ، وفي أحداثهم ما هم فاعلون بعده ، فقال : وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ **إلى قوله :** وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ

لِّلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ثم فكانت بنو إسرائيل ، وفيهم الأحداث والذنوب ،

وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ، متعطفا عليهم محسنا إليهم ، فكان مما أنزل بهم في ذنوبهم ما كان قدَّم إليهم في الخبر على لسان موسى مما أنزل بهم في ذنوبهم ، فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ، أن ملكا منهم كان يُدعى صديقة ، وكان الله إذا ملَّك الملِك عليهم ، بعث نبيا يسدّده ويرشده ، ويكون فيما بينه وبين الله ، ويحدث إليه في أمرهم ، لا ينزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها ، وينهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة ؛ فلما ملك ذلك الملك ، بعث الله معه شعياء بن أمُصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى ، وشعياء الذي بشَّر بعيسى ومحمد ، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زمانا ؛ فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث ، وشعياء معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ، ومعه ستّ مئة ألف راية ، فأقبل سائرا حتى نزل نحو بيت المقدس ، والملك مريض في ساقه قرحة، فجاء النبي شعياء ، فقال له: يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده ستّ مئة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرّقوا منهم ، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبيّ الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث ، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده ، فقال له النبيّ عليه السلام : لم يأتني وحي أحدث إليّ في شأنك، فبيناهم على ذلك ، أوحى الله إلى شعياء النبيّ : أن ائت ملك بني إسرائيل، فمره أن يوصي وصيته ، ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته . فأتى النبيّ شيعاء ملك بني إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربك قد أوحى إليّ أن آمرك أن توصي وصيتك، وتستخلف من شئت على مُلكك من أهل بيتك فإنك ميت ؛ فلما قال ذلك شعياء لصديقة ، أقبل على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص وتوكل وصبر وصدق وظنّ صادق : اللهمّ ربّ الأرباب ، وإله الآلهة، قدُّوس

المتقدسين ، يا رحمن يا رحيم ، المترحم الرءوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملي وفعلي وحُسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك، فأنت أعلم به من نفسي ؛ سرّي وعلانيتي لك ، وإن الرحمن استجاب له وكان عبدا صالحا ، فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه، وقد أخَّر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده، فأتى شعياء النبيّ إلى ذلك الملك فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع، وانقطع عنه الشرّ والحزن وخرّ ساجدا وقال : يا إلهي وإله آبائي، لك سجدت وسبَّحت وكرمت وعظمت ، أنت الذي تعطي المُلك من تشاء، وتنزعه ممن تشاء، وتعزّ من تشاء، وتذلّ من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ، أنت الأوّل والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرّين ، أنت الذي أحببت دعوتي ورحمت تضرّعي ؛ فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده بالتينة، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ، ويصبح وقد برأ ، ففعل ذلك فشفي ، وقال الملك لشعياء النبيّ : سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدوّنا هذا ، قال : فقال الله لشعياء النبيّ : قل له : إني قد كفيتك عدوّك ، وأنجيتك منه ، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه؛ فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم ، فصرخ على باب المدينة : يا ملك بني إسرائيل ، إن الله قد كفاك عدوّك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا ؛ فلما خرج الملك التمس سنحاريب ، فلم يُوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه ، أحدهم بختنصر، فجعلوهم في الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل ؛ فلما رآهم خرّ ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوّته ، ونحن وأنتم غافلون ؟ فقال سنحاريب له : قد أتاني خبر ربكم ، ونصره إياكم ، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من

بلادي ، فلم أطع مرشدا ، ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلي ، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكن الشقوة غلبت عليّ وعلى من معي ، فقال ملك بني إسرائيل : الحمد لله رب العزّة الذي كفاناكم بما شاء، إن ربنا لم يُبقك ومن معك لكرامة بك عليه ، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هو شرّ لك ، لتزدادوا شقوة في الدنيا، وعذابا في الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا ، ولتنذروا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم ، فلدمُك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته ، ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه، فقذف في رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا ، وكان يرزقهم في كلّ يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل : القتل خير مما يفعل بنا، فافعل ما أمرت ، فنقل بهم الملك إلى سجن القتل، فأوحى الله إلى شعياء النبيّ أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم ؛ فبلَّغ النبيّ شعياء الملك ذلك ، ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهَّانه وسحرته : يا ملك بابل قد كنا نقصّ عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ، ووحي الله إلى نبيهم، فلم تطعنا ، وهي أمَّة لا يستطيعها أحد مع ربهم ، فكان أمر سنحاريب مما خوّفوا ، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ، ثم مات ... الخ . ([1])

وهذه القصة رواها بنفس الطول ، ونفس التفصيلات من المفسرين : الثعلبي، والخازن ، والبغوي . ([2])

([1]) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،جامع البيان في تفسير القرآن ١٧/ ٣٥٦ وما بعدها .

([2]) يراجع :أبو إسحق الثعلبي الكشف والبيان ٦/ ٧٥ .علاء الدين الخازن ، لباب التأويل ٤ / ١٤٥ . أبو محمد،الحسين بن مسعود البغوي،معالم التنزيل ٣ / ١١٤ .

وفي قصة أصحاب الكهف أيضا تمثيل ودلالة على المعنى السابق ؛ حيث احتلت الأخبار الدخيلة في هذه القصة مساحة كبيرة من كتب المفسرين ، وساقوا فيها وحولها روايات مطولة ، حلقوا فيها بأخيلتهم ، وأرخوا العنان لأقلامهم . ([1])

والحقيقة أن المفسرين - الذين أوردوا هذه التفصيلات - قد أتعبوا أنفسهم،وأهدروا أوقاتهم ، وضيعوا جهدهم ، عندما انشغلوا بنقل هذه الروايات ، العارية عن السند الصحيح ، والعارية أيضا عن الفائدة الحقيقية ؛ وليس هناك في الواقع حاجة إلى تعيين مثل هذا الأمر ؛ ولو كان يترتب على بيانه فائدة لنص عليه القرآن الكريم، وما أغفلته السنة المطهرة .

" وكان الأولى بمفسري كتاب الله تعالى والدارسين له ، الذين اتجهوا إلى الإسرائيليات والأساطير ، أن يقفوا عند حدود العرض القرآني لقصص السابقين ، وأن يستفيدوا من منهجه وطريقته في النظر فيها وتحليلها ، وأن لا يجاوزوا القرآن الكريم إلى مصادر بشرية عاجزة جاهلة ، يطلبون منها تفصيل ما أجمل القرآن ، أو تبيين ما أبهم فيه .

وليتهم طلبوا هذا من مصادر موثوقة ، قد تعطيهم علما ويقينا في هذا المجال، ولكنهم طلبوا هذا من مصادر محرفة كاذبة ؛ فأقبلوا على الإسرائيليات ، يزيدون منها علمهم وثقافتهم ، ويملأون منها تفاسيرهم وأبحاثهم ودراساتهم . ونسي هؤلاء توجيهات القرآن الكريم ، في عدم البحث فيما لا دليل عليه ، كأحداث الماضين ، التي هي من أنباء الغيب ، وأن لا يُسأل فيها من لا علم عنده ، وأن لا يقفو المسلم ما ليس له به علم . قال

([1]) يراجع على سبيل المثال:أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان فى تفسير القرآن ١٥ / ٢٢٢ . علاء الدين الخازن ، لباب التأويل ٤/ ١٩٧ وما بعدها .

الله جل شأنه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٦)([1])

وهكذا يتأكد لنا أن الصواب قد جانب أصحاب هذه الروايات المطولة ، والتي لم تكن إلا تكلفا غير مثمر ، ومجهودا في غير موضعه . ولو أنهم اقتصروا في تفسير النصوص القرآنية الكريمة على ما ظهر من معناها ، وما تحتمله اللغة العربية ، لكان خيرا لهم وأقوم ، ولأراحوا أنفسهم وقُرّاءهم من عناء كبير .

والأولى في مثل هذه الأمور : أن نقف حيث وقف القرآن الكريم ، ولا نخوض في أمور تحتمل الكذب أكثر مما تحتمل الصدق ، ونلتزم بدلالات ظاهر النص القرآني ونقف عنده ما أمكن ، ولا نحمل اللفظ القرآني الكريم ما لا يحتمل . بل نقتصر على ما ورد فيه من كتاب الله رب العالمين ، أو قبس صحيح من هدي سيد المرسلين .

([1]) صلاح الخالدي،مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم، ص ٩٤وما بعدها بصرف يسير .

المبحث الخامس

الدخيل سبب في انتشار البدع والخرافات بين أفراد الأمة

اعتمدت بعض كتب التفسير على كثير من الأساطير والحكايات الغريبة ، التي تتنافى مع أساسيات الشرع ، وبديهيات العقل .

وقد أثّرت هذه الروايات الدخيلة على عقيدة الأمة الإسلامية تأثيرا مباشرا وخطيرا ، وساهمت بشكل كبير في انتشار البدع بين عامة الناس ، وتصوير الإسلام في صورة دين خرافي ، يعنى بترهات وأساطير لا أصل لها .

ومنشأ هذه الحكايات من القصاص ، الذين كانوا يجوبون البلاد ، ويؤمون المساجد ، طلبا للرزق ، باستمالة قلوب العوام بالقصص العجيبة ، والحكايات المثيرة التي ترقق القلوب ، وترغب وترهب ، بصرف النظر عن صدقها أو كذبها .

وقد حذر النبي ﷺ من أمثال هؤلاء فقال : (سَيَكُونُ في آخِرِ أمتي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ) . " (١)

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - في كتاب (الموضوعات) : معظم البلاء في وضع الحديث إنما يجري من القُصّاص . (٢)

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه - . باب : النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ١/ ١٢ . حديث رقم : ٦ .

(٢) جمال الدين الجوزي ، الموضوعات ١/ ٤٤ .

وقد ذكر الحافظ السيوطي ـ رحمه الله – في كتابه : تحذير الخواص من أحاديث القصاص . عدة مواقف وأخبار طريفة في هذا الشأن ، وهي تؤكد وتدلل على مدى تمكن الأساطير والخرافات من قلوب العامة من الناس .

ومن هذه المواقف والأخبار ما يلي :

١ ـ دخل عامر الشعبي ـ وهو أعلم أهل العراق آنذاك ـ أحد مساجد تدمر، وإذا بشيخ عظيم اللحية ، قد أطاف به قوم يحدثهم ، فقال : إن الله تعالى خلق صورين ، له في كل صور نفختان ، نفخة الصعق ونفخة القيامة ، فقلت له : يا شيخ ، اتق الله ، ولا تحدثن بالخطأ، إن الله تعالى لم يخلق إلا صورا واحدا ، وإنما هي نفختان : نفخة الصعق ونفخة القيامة . فقال لي : يا فاجر ، إنما حدثني فلان عن فلان ، وترد عليّ ؟ ثم رفع نعله فضربني بها ، وتتابع القوم عليّ ضربا ، فوالله ما أقلعوا عني حتى حلفت لهم أن الله تعالى خلق ثلاثين صورا ، له في كل صور نفخة . ([1])

٢ ـ جلس أحد القصاص ببغداد ، فروى في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ (الإسراء : ٧٩) أن الله تعالى يُجلس محمدا ﷺ على عرشه ، فبلغ ذلك الإمام محمد بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ فاحتد من ذلك ، وبالغ في إنكاره ، وكتب على باب داره :

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

([1]) جلال الدين السيوطي . تحذير الخواص من أكاذيب القصاص . ص ١٥٣ .

فثارت عليه عوام بغداد ، ورجموا بيته بالحجارة ، حتى سدت بابه . ([1])

٣ – أورد بعض أهل الأهواء حديثا بإسناد مختلق ، جاء فيه أن النبي ﷺ قال لجبريل حين نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) ! هل أصابك من هذه الرحمة شيء ؟ فقال : نعم ، خلق الله قبلي ألوفا من الملائكة ، كلهم يسمى جبريل ، ويقول الله لكل منهم : من أنا ؟ فلا يعرف الجواب، فيذوب ، فلما خلقني وقال لي : من أنا : قال لي نورك يا محمد : قل : أنت الله الذي لا إله إلا أنت ... ([2])

هذا ، وقد أورد الإمام الألوسي في تفسيره طرفا من مثل هذا الكلام الذي يتردد على ألسنة بعض الناس ، وذلك في معرض حديثه عن أسماء أهل الكهف . قال – رحمه الله - :

أسماء أهل الكهف : على ما صح عن ابن عباس : مكسلمينا، ويمليخا ، ومرطولس ، وثبيونس ، ودردونس ، وكفاشيطيطوس، ومنطنواسيس ، وهو الراعي ، والكلب اسمه قطمير وقد ذكروا لها خواصا ؛ فقال النيسابوري عن ابن عباس : إن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب ! والهرب ! وإطفاء الحريق ، تُكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ! ولبكاء الطفل ، تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد ! وللحرث ، تكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب وسط الزرع ! وللحمى المثلثة ! والصداع ! والغنى! والجاه ! والدخول على السلاطين ، تشد على الفخذ

([1]) جلال الدين السيوطي . تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، ص ١٦١ .
([2]) المرجع السابق ، ص : ٤ .

اليمنى! ولعسر الولادة تشد على الفخذ الأيسر ! ولحفظ المال ! والركوب في البحر! والنجاة من القتل !

وقد علق الألوسي على هذا الكلام المتهافت قائلا : ولا يصح ذلك عن ابن عباس ، ولا عن غيره من السلف الصالح . ولعله شيء افتراه المتزيون بزي المشايخ، لأخذ الدراهم من النساء وسخفة العقول . (١)

كما احتلت شخصية (الخضر) عليه السلام مساحة كبيرة فيما يتعلق بالبدع والأوهام المنتشرة بين العامة . وقد اخترعوا لذلك أساطير وخرافات ؛ فزعموا أن الخضر يصلي مع الناس متخفياً بزي الفقراء ، وأن له علامة ، وذلك أن بؤبؤ عينيه يتحرك كالزئبق ! وأن إبهام اليد اليمنى لا عَظْمَ لها!! (٢) لذلك إذا صافح بعض الناس بعضهم قبض كل واحد منهم على يمين الآخر مرتكزاً على الإبهام ، عَلّه أن يصادف الخضر !! . وكذلك مما يزعمونه من علاماته أنه يكون أول خارج من المسجد!! .

بل وصل حد الغلو في الخضر عليه السلام أن كثيراً من المتصوفة يزعم أنه لقي الخضر وتلقى منه أحكاماً شرعية ، وإن كانت مخالفة للشريعة الإسلامية .

والحكايات عن الخضر ومقابلته لبعض الناس ، وإعانتهم ودفع البلاء عنهم كثيرة جداً لا تحد بحد ، وذلك من أبين الأدلة على أنها كذب وبهتان، لأن ميزة الكذب أنه لا نهاية له .

---

(١) محمود الألوسي ، روح المعاني ١٥ / ٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق ٣٢٦/١٥ . وبؤبؤ العين . أي الحدقة . وهي فتحة مدوّرة أو بيضاويّة تحيط بها القزحيّة ، تسمح للضّوء بالدّخول إلى مؤخّر المقلة .

ومن ذلك : ما رُوي عن رياح بن عبيدة قال : رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه ، فلما انصرف قلت له : من الرجل ؟ قال : رأيتَه ؟ قلت: نعم . قال : أحسبك رجلاً صالحاً ، ذاك أخي الخضر ، بشرني أني سأُولَّى وأعدل . (١)

وهذه حكاية باطلة ، وقد وردت بطرق ذكرها الحافظ ابن كثير - رحمه الله - وفندها كلها . (٢)

وكثير من عوام الناس يعتقد بحياة الخضر ، ويستغيث به لتفريج الكربات عند حصول المدلهمات ، وقد اعتمدوا في ذلك على نصوص واهية لا أصل لها .

والاعتقاد بحياة الخضر عليه السلام ، جر إلى خرافات وبلايا ، نطق بها بعض الجهلة والسفهاء ... حتى وصل الحال إلى أن يزعم بعض أدعياء التصوف أن كل ما ينقلونه من علومهم يسمعونه من الخضر .

كما أدى الاعتقاد بحياة الخضر عليه السلام إلى التماس كثير من الناس للخضر، وبحثهم عنه ليدعو لهم ، وليتبركوا بجسده . (٣)

والقول بحياة الخضر - وإن قال به بعض العلماء - قول منكر، وباطل ظاهر البطلان ، وأدلة إبطاله كثيرة من الكتاب والسنة .. منها :

---

(١) انظر: أبو الفضل ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣١١/٦ . و أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية ٣٣٤/١ .

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية ٣٣٤/١ .

(٣) من المعلوم شرعا أن التبرك بالذوات ممنوع ، إلا ما خصه الشرع ، وهو التبرك بذات النبي ﷺ .

قول الله جل شأنه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ **(الأنبياء : ٣٤) ، ومعنى التخليد: البقاء إلى قرب قيام الساعة ، وهذا مما نفاه الله حل وعلا عن البشر ..**

وكذلك فإن النبي ﷺ لَمَّا بُعث لم يأته الخضر ، ولم يبايعه ، ولم يهاجر ولم يجاهد معه ، ولم يحصل شيء من ذلك إطلاقا .. علماً بأن الهجرة كانت واجبة قبل فتح مكة... وكذلك الواجب على الخضر لو كان حياً اتباع شريعة محمد ﷺ ، وطاعته .

وقد وضع الكذابون ، وروى المجهولون النكرات أحاديث يذكرون فيها أن الخضر لا يزال حيا ، وجميع تلك الأحاديث ضعيفة ، أو مكذوبة على رسول الله ﷺ ولم تثبت من أي وجه صحيح .. ومن هذه الروايات ما يلي :

١ - « عن علي بن أبي طالب قال : بينا أنا أطوف بالبيت إذ برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، يا من لا تغلطه المسائل ، يا من لا يتبرم بإلحاح الملحين ، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك . قلت : يا عبد الله .. أعد دعائك هذا ، قال : أوقد سمعته ؟ قال: نعم ، قال : فادع به في دبر كل صلاة ، فوالذي نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحصى الأرض وترابها ، لغُفر لك

سرع من طرفة عين » ، وقول الخضر : (أوَقد سمعته ؟) يشير إلى أنه موجود يَتعبد ، ويفتح الله لمن يشاء رؤيته ، أو سماعه ، أو لقاءه . (١)

٢ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الخضر عليه السلام في البحر ، واليسع عليه السلام في البر ، يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ، ويحجان أو يجتمعان كل عام ، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل). (٢)

وعندما يُلقى هذا الكلام على مسامع بعض الناس ، أو تقع عليه أبصارهم في بعض كتب أهل العلم ، فلا شك أنه يشوش عليهم عقيدتهم ومفاهيمهم وتصوراتهم ، بل ويسحب أرجلهم بقوة إلى مستنقع البدعة والضلالة .

نسأل الله العفو والعافية .

(١) محمد بن طاهر بن علي الفتني ، تذكرة الموضوعات ص : ١٠٩ . وقال السيوطي في كتابه : اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ /١٥٤ : هذا الحديث لا يصح ، فيه ابن الهروي مجهول ، وابن محرز متروك .

(٢) قال الحافظ بن حجر بعد تخريجه للحديث في المطالب العالية ٤٤١/٨ : ضعيف جداً . وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ١٤١/٧رقم٦٥٢٦ : هذا إسناد ضعيف لجهالة بعض رواته. وقال السيوطي في الدر المنثور ٢٤٠/٤ : سنده واهٍ . وقال في جمع الجوامع (١٩٤/١): وفيه أبان ، وعبد الرحيم بن واقد متروكان .

خلاصة البحث ونتائجه

من خلال رحلتي مع هذا البحث أستطيع - بفضل اللهَّ تعالى - في نهايته أن أخرج منه بهذه الخلاصة ، وأذكرها محددة في النقاط التالية :

- الروايات الدخيلة لها خطرها الذي لا يستهان به ، على العقيدة الإسلامية ، وعلى الفرد والمجتمع المسلم ، وعلى التراث العلمي ، والواقع العملي للأمة الإسلامية .

- الدخيل سبب في ترويج وتقوية الأحاديث الواهية والمكذوبة على النبي ﷺ وأصحابه الكرام ، كما أنه يشكك في مصداقية كتب التفسير ، ويُخرج القرآن الكريم عن هدفه الأصيل ، ويُبعد القارئ والدارس عن الجو القرآني .

- الانشغال بالدخيل يضيع الوقت والجهد ويشغل العقلية الإسلامية بما لا خير فيه .

- الدخيل سبب أساس في انتشار البدع ، وذيوع الخرافات بين الأمة .

- القرآن الكريم هو المصدر الوحيد المستيقن في الأخبار والمعلومات والقصص ، وفيه غنية عن كل ما عداه من الأخبار السابقة أو اللاحقة ، ولا يجوز تجاوزه إلى الأخبار الضعيفة ، والروايات السقيمة .

فهرس المراجع

أنوار التنزيل وأسرار التأويل : الإمام البيضاوي ، ناصر الدين ، أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي . ط : دار الرشيد . بيروت ١٤٢١هـ.

أيسر التفاسير : أبو بكر جابر الجزائري . مكتبة العلوم والحكم .المدينة المنورة . ط : الثالثة . ١٤١٨هـ .

إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر البوصيري . دار الوطن . الرياض . ط : الأولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

الإتقان في علوم القرآن : الإمام جلال الدين السيوطي . ط : عالم الكتب . بيروت . بدون تاريخ .

البحر المحيط : أبو حيان محمد بن يوسف . دار الفكر . بيروت لبنان ط: الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير - دار الفكر العربي القاهرة ، مصر ط الأولى : ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م .

تحذير الخواص من أكاذيب القصاص : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . المكتب الإسلامي . بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م .

تذكرة الموضوعات : لمحمد بن طاهر بن علي الفتني، ط : المنيرية . القاهرة ١٣٤٣هـ .

التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي . مكتبة وهبه ، القاهرة ، مصر، ط : الخامسة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

تفسير القرآن العظيم : الشهير بتفسير ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي . دار الفكر : بيروت : ١٤٠١ هـ ١٩٨٢ م .

تفسير القرآن العظيم : لابن أبي حاتم ، الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ط : مكتبة نزار مصطفى الباز . مكة المكرمة ١٤١٩هـ.

جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبري) : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، دار الريان ، القاهرة ، مصر ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

الجامع الكبير (جمع الجوامع) : جلال الدين السيوطي، نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية ، ط :الهيئة المصرية للكتاب القاهرة .

الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي . ط : الثانية . دار الشعب . القاهرة ١٣٧٢هـ .

الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي . دار الفكر . بيروت لبنان . ط : الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي أبو الفضل : دار إحياء التراث العربي : بيروت ، لبنان .

زهرة التفاسير : محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، بدون تاريخ .

صحيح مسلم : أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد عبد الباقي . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة . مصر .

صحيح مسلم « بشرح النووي » : الإمام النووي . دار الريان - القاهرة ، مصر، ط : الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

الفتاوى : للشيخ محمود شلتوت . دار الشروق . بيروت ط : الثامنة ١٣٩٥ هـ ..

فتح الباري بشرح صحيح البخاري : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد دار المعرفة . بيروت ، لبنان .

الفوائد البديعية فى فضائل الصحابة وذم الشيعة : جمع وترتيب : د . أحمد فريد. الدار السلفية للنشر والتوزيع .

فيض القدير فيض القدير شرح الجامع الصغير : جمال الدين بن منظور. دار المعرفة ، بيروت ، ط: الثانية ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م .

القاموس المحيط : لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي . ط : المكتبة التجارية الكبرى . الطبعة الخامسة .

الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) :أبو إسحاق ، أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م . ط: الأولى .

اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : السُّيوطي ، جلال الدين . الناشر : دار الكتب العليمة . لبنان .

لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) : علاء الدين علي بن محمد البغدادي الخازن . دار مصطفى الحلبي ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥ م .

لسان العرب : جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن أبى القاسم بن منظور (٧١١ هـ) ٠ ط : دار المعارف . بدون تاريخ ٠

المحلى : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . لبنان .

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : الحافظ أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني . الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت.

معالم التنزيل (تفسير البغوي) : أبو محمد ، الحسين بن مسعود البغوي تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرون . دار طيبة .

مفاتيح الغيب : الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي . دار الغد العربي، القاهرة ، مصر، ط : الأولى .

مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم : د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي . دار القلم ، دمشق . ط: الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤ م .

الموضوعات : جمال الدين عبد الرحمن الجوزي . تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . المكتبة السلفية . المدينة المنورة .ط :الأولى ١٩٦٦ م .